

كرتا عاصمة الملوك النوميديين

د. مهنتل جهيدة

أستاذة محاضرة بمعهد الآثار

ملخص :

يتمحور المقال حول التأكيد على المكانة المميزة لمدينة قسنطينة في الفترة النوميديّة، حيث كانت عاصمة الملوك النوميديين ، واثبت ذلك من خلال المصادر، وذكر الملوك الذين تعاقبوا عليها من خلال ما تعرّفنا به المصادر والاستدلال ببعض القطع النقدية التي تحمل صور هؤلاء الملوك.

1-جدل قسنطينة والكاف :

إذا أقر معظم الباحثين، بأن قسنطينة هي الموقع القديم لكرتا عاصمة الملوك النوميديين، إلا أن هناك من حاول أن يرى فيها غير ذلك، ويعتبرها مستوطنة فنيقية، وأن تكون مدينة الكاف بتونس هي العاصمة النوميديّة.

وهو جدل أقيم لأن كلا المدينتين حملتا اسم كرتا في الفترة الرومانية.

وأیضا ذكر بلین المدينتين مع بعض باسم كرتا

النص :

« Colonia cirta sittianorum cognominaet alia intus cirta regia colonia sicca..... » (Pline l'ancien, 2003).

وإذا تمعنا في نص بلين ، فإن كرنا الستين، والتي هي قسنطينة ذكرها باسم كرنا فقط بينما كرنا الأخرى كما يقول، فتعرف أيضا باسم-Sicca (الكاف) .

وقد حاول برتي بناء نظريته التي يرى فيها أن الكاف هي العاصمة النوميدية، بالاستناد إلى مقاطع معينة من النصوص القديمة، وإعطاها تفسيراً شخصياً يفيد في التأكيد على أن الكاف هي كرنا النوميديين، وليست قسنطينة وهي الفكرة التي حاول تحليلها من خلال خاصة كتاب الكاتب الروماني سالوستيوس حول حرب يوغرطة (Berthier, A. 1950).

واعتبر أن مدينة الكاف كانت أقرب من محور الحرب التي دارت بين يوغرطة والقادة الرومانيين، ماريوس (Marius) وملتوس (Metellus) وسيل (Sylla).

نحن نعلم أنه يجب علينا قراءة سالوستيوس بحذر، فلم يكن هذا الكاتب نزيهاً عند حديثه عن الآخرين، واتهم بالرشوة ، ولولا نصره قيصر له لكان مصيره شيئاً آخر غير العودة إلى روما.

وكتابه حرب يوغرطة جاء بعد مرور سبعين سنة على الحرب.

وهو لم يصف جغرافية المدينة، لأنه كما يقول في كتبه، لم تكن داخل حدوده الإدارية لما كان حاكماً في الفترة الرومانية ويصفها قريبة من البحر.

وإذا سلمنا بأن سالوستيوس كان برأي برتي يتحدث عن كرنا (الكاف) فإن وصفه لها قريبة من البحر لا يتطابق مع موقعها، فهي تبعد بمسافة أكبر عن البحر، وتكون قسنطينة أقرب منها إليه إذا أخذنا بعين الاعتبار المسافة بين قسنطينة والقل مثلاً، والتي تكون بحوالي 67 كلم.

أيضا استند برتي إلى نص بوليبي الذي يذكر فيه وصول سكيبو (Scipio) إلى كرنا بعد ثلاثة أيام.

فهذه الجملة يمكننا إعطاءها تفسير آخر غير الذي أراد بريتي إعطاءها إياه أي لا يمكن لسكيبو الوصول إلى كرتا (قسنطينة) إلا بعد عشرة أيام لأنه كان قرب قرطاجة، وبالتالي كانت الكاف هي الأقرب.

المقصود في الجملة بالتأكيد هو وصوله إلى كرتا بعد مرور ثلاثة أيام على موت الملك (ماسينيسا)، وليس استغراقه ثلاثة أيام للوصول.

وعندما تذكر المصادر الأخرى كسترابون، وتيت ليف وأبيان تحصين المدينة بأسوار وخندق وامتلاكها لعشرة ألف فارس، وعشرين ألف من المشاة، فيرى بريتي في هذه القراءة تناقضا مع موقع المدينة القديمة الذي كان حسبه محصورا في الصخرة وأن المدينة لم تكن تحتاج إلى خندق لتحصينها، لأن وادي الرمال كان يقوم بذلك.

وان حصرها في الصخرة، لم يكن ليتمكنها من استيعاب عدد الفرسان والأحصنة التي نكروها سترابون، فهي لم تكن تملك الأراضي الواسعة للرعي مثل الكاف.

وكان بريتي يتناقض هنا مع نفسه، ألم تثبت الاكتشافات الأثرية بما فيها اكتشافه في 1960 م، لمباني تعود إلى الفترة النوميدية في موقع سيدي مسيد، أي أسفل الصخرة. ومذا عن موقع المنصورة، والمواقع الأخرى التي عثر بها على آثار، وهي كلها مواقع خارج الصخرة .

كذلك تحتوي المنطقة إلى جانب الصخرة والمنحدرات، على أراضي واسعة تصلح للرعي، وللزراعة، فقد كانت إحدى مخازن القمح في الفترة الرومانية.

كذلك حلول بريتي إيجاد إسما آخر لمدينة قسنطينة قبل الستين الذين تزامن وجودهم مع النزاع بين قيصر وبومبي، واقترح أن يكون اسمها آلبت، أي إله البيت، وأن الستين الذين هزموا كرتا(الكاف) جاءوا إلى قسنطينة، وغيروا اسمها وسموها كرتا(Berthier,A. 1981).

فلو كان كذلك صحيحا لأضيفت صفة-Nova - (جديدة) لاسم المدينة ما دامت هناك كرتا -Vetus - (قديمة) في الكاف، بل أكثر ، وجدت صفة -Nova- بالكاف، وليس قسنطينة.

ونذكرت المصادر بما فيها الآثار من قطع نقدية اسم المدينة كارتا قبل الستينين.

وعرفت مدينة الكاف أكثر باسم -Sicca veneria- . وكانت في القرن الثالث ق.م تابعة للأراضي القرطاجية.

وإن ذكرت الكاف باسم -Citra Nova- فربما كما يرى دوزانج، يرجع ذلك إلى وجود نوميديا جديدة نظمت حول كرتا جديدة هي الكاف (Desanges,J. 1980).

وهي فكرة لا نستطيع موافقتها في غياب أي دليل، خاصة كتابة تتحدث عن

-Numidia Nova- ويبقى اقتراح برتني الذي وافقه فيه شارليي (R.Charlier) وحيدا، لم يلقى تجلوبا من أي باحث، فهو يفتقد إلى الأئلة المادية خاصة، والتي توفرت في قسنطينة وليس الكاف.

الآثار التي اكتشفت بها والتي تعود إلى الفترة النوميديّة دلت على انفتاح المملكة النوميديّة على العالم الإغريقي والإيطالي الذي ذكرته المصادر، كما أن معبد الحفرة وفر لنا من خلال الكتابات المؤرخة بعهد ماسينيسا وأبناءه حجة مقنعة إلى درجة كبيرة في أن قسنطينة هي العاصمة للنوميديّة. فهذه الكتابات تعتبر إشارة فريدة، تؤكد الدور السياسي لمدينة كرتا كعاصمة نوميديّة.

ولعل مقال دوزنج الأخير حول هذا الموضوع ، يخلق هذا الجدل نهائيا.

فقد استند دوزنج إلى مصدر آخر، هو فرونتو Fronto (إين كرتا) الذي كما يقول تجاهله برتني في مصادره.

من خلال مقاطع لبعض رسائل هذا الخطيب المشهور، أهمها نص يوجهه فرونتو إلى الحاكم الثلاثي -Triumvir- لمدينة لم يذكر اسمها، حيث خاطبه بقوله (وطننا) أي أن هذا الحاكم وهو ليهما نفس الوطن وقد تأكد وجود الحاكم الثلاثي في الكنفدرالية السرتية التي كانت كرتا المقر الرئيسي لها، بينما مدينة الكاف، عرف بها الحكم الثنائي-Duumvir- في العهد الإمبراطوري الأول، وهي الفترة التي رسل فيها فرونتو هذا الحاكم، أيضا في بعض رسائله للإمبراطور ماركوس أوريليوس (M.Aurelius) فإن الكاتب يشير إلى الانهزامات المشهورة التي عرفت روما في كرتا (مدينته) خلال حرب يوغرطة.

وأخيرا في رسالة أخرى وجهها إلى الإمبراطور لوكيوس فيروس (Lucius verus)، يذكر فيها الرسالة التي كتبها الملك النوميدي أنربيل لمجلس الشيوخ عندما كانت كرتا محاصرة من طرف يوغرطة (Desanges, J. 1986) وأظن فعلا أن هذا الجدل أعلق نهائيا، لأن الكل يعترف، ويؤكد بأن قسنطينة هي العاصمة النوميديّة.

2- ملوك كرتا :

تخبرنا المصادر أن أولى الملوك النوميديين الذي اتخذها عاصمة له كان، الملك سيفاكس (213-202 ق.م) ملك المملكة الماسيسيلية.

وكان سيفاكس حليف القرطاجيين في الحروب البونية خاصة الحرب البونية الثانية، حيث كان نسيب أسدربل بزواجه من ابنته صفونسبي التي تكرت المصادر جمالها، وشغف ماسينسا بها (Titelive.1861) ومن أهم آثار هذا الملك بالمدينة، هو قطعا نقدية، وجدت بكمية أكبر في عاصمته الغربية سيقا.

يظهر فيها الملك بوجه مستدير مع لحية قصيرة ومديبة وشعر مصفف نحو الخلف، وتارة أخرى بلحية وشعر مقصب وتاج على الطريقة الهيلستية.

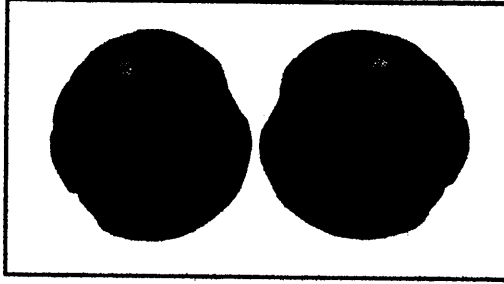
ويحفظ لنا متحف سرتا صورة لهذا الملك (أنظر صورة 1).

وبعد انهزام سيفاكس وحنبل في معركة زامة، ونهاية الحرب البونية الثانية، وحدّ ماسينيسا الذي كان حليف الرومان المملكتين ، الماسيسلية والماسيلية باسم هذه الأخيرة، وعاصمتها كرتا دائما، وكان ذلك نحو 203 ق.م.

ولقد تركت المملكة الماسيلية بصمتها بفضل ماسينيسا الذي اعتبره التاريخ كأشهر الملوك الأفارقة.

ويذكر سالوستيوس غنى المملكة الشرقية بالمباني.(Salluste. 1941)

وقد عمل ماسينيسا (203-148ق.م) على تنظيم المملكة النوميديّة.



صورة 1: الملك سيفاكس محاط بشريط ملكي وفي الظهر ، صورة حصان
يركض نحو اليسار وكتلية بونية لإسم الملك سيفاكس. ح م م ل ك ت
عن الجزائر النوميديّة ، متحف سرتا، 2007، ص 183 .

واعتبره بعض المؤرخين القدامى المعاصرين لعهد أمثال بوليب الذي عايش الحروب البونية، كالرجل الذي أدخل الأسس الحضريّة لبلاده، كالزراعة والكتابة، ويوصف كالمملك الهيلينستيين(Polype.1883)

ونحن نعرف أن النوميديين عرفوا الزراعة قبل عهده حتى أن ضريح المدرس الذي أُراد التقليد أن يكون مرتبطا باسمه أصبح شيء غير مقبولا بعدما

لثبتت تحاليل شطايا سقف الضريح على أنه سابق حتى لعهد سيفاكس (300 ق.م.) (Lancel, S. 2003)

وطبعا هذا الكلام لا يقلل من عظمة هذا الملك الذي عرفت المملكة بما فيها كرتا خلال مدة حكمه الطويلة، فترة إزدهار واستقرار.

وعرف عن هذا الملك انفتاحه على العالم الخارجي ، خاصة الإغريقي، فقد ذكرت المصادر، اللواتم التي كان يقيمها، وإحضاره للموسقيين الإغريق (Tite live.1861)

وتبين أيضا شغفه بالحضارة الإغريقية من خلال تلقي ابنه مصطنبل تربية إغريقية، وهناك كتابة لمصطنبل تشير إلى فوزه في سباق الخيل الذي كان يقام كل أربع سنوات على شرف الربة أثينا، كما وجدت كتابة أخرى لابنه الآخر قولوسا ببلاد الإغريق وأقيمت له ثلاثة تماثيل، أحدها من طرف تاجر من مدينة دلوس، والثاني من طرف تاجر من جزيرة رودس، وثالث من طرف ملك بتيينا (Ouled Tahar, M.2004-05)

وكان أهم انجاز لهذا الملك ، هو فتح بلاده أمام الإغريق ، وغيرهم حيث أقام علاقات مع الغرب والشرق دون وساطة قرطاجة.

وظهر اسم الملك بالمدينة في كتابات معبد الحفرة (م س ن س ن) متبوعا بعبارة (ح م م ل ك ت) بمعنى أمير التي ظهرت مختصرة على النقود (ح ت).

ويحفظ لنا متحف سرتا قطعا نغدية تحمل صورته التي يبدو فيها متوجا بإكليل من ورق الغار، يغطي تقريبا كل شعره، ويظهر بلحية قصيرة، ووجه تدل تعابيره على قوته الجسدية التي تحدث عنها المصادر (انظر صورة 2)

فليس غريبا أن تحظى العاصمة كرتا بثقافة وحضارة راقية في عهده.

بعد موته، أبقت كرتا على استقرارها في عهد ابنه ميكسا (م ك و س ن) الذي تولى إدارة العاصمة (148-118 ق.م) ، بينما عادت الشؤون القضائية إلى

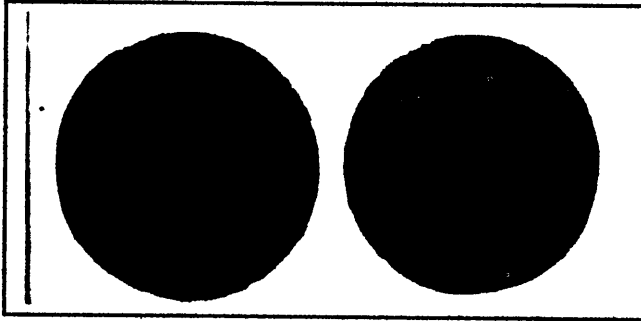
أخيه مصطنع، والجيش إلى أخيه قولوسا. وتشير كتابة عثر عليها بمعد الحفرة إلى أسمائهم

وأكد سترابون إزدهارها في عهد ميكسا الذي سار على درب أبيه في الانفتاح على العالم الخارجي خاصة الإغريقي.

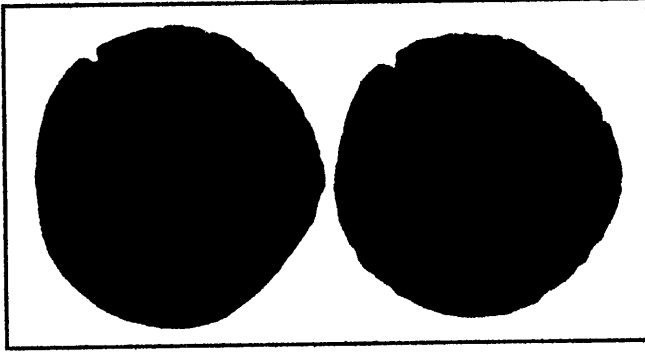
ومن آثار هذا الملك، قطعا نقدية يظهر فيها بلحية قصيرة ويزين رأسه شريط (أنظر صورة رقم 6).

وعثر بشرشال على كتابة له محفوظة بمتحف اللوفر، تشير إلى معبد شيد له بعد موته، وصعب إعطاءها تفسيرا واضحا (Bron,F. 2003).

ويرى كامبس أنها قد توحى بوجود طقس ملكي (Camps,G. 1960).



صورة 2 : الملك ماسينيسا ملتح و مكل بورق الغار و في الظهر صورة فيل يمشي على اليسار و حروف بونية لإسم الملك م س ن س ن
عن الجزائر النوميديّة ص 183



صورة 3 : الملك ميكيسا مزين بشريط و امامه رمز أو حرف بوني في الظهر حصان واقف إلى اليسار عن الجزائر النوميديية ص 187 .

ويحفظ لنا متحف سرتا قطعة نقدية لأخيه قولوسا الذي تزامن وجوده مع ميكيسا في قيادة الجيش.

وبعد ميكيسا، بدأ النزاع يدب بين أبناءه ، وابن أخيه يوغرطة الذي تبناه، فانتقلت المدينة من الاستقرار إلى التوتر السياسي الذي أدى إلى محاصرتها عدة مرات، فقد كان طموح يوغرطة أكبر من أن يتقبل جلوس أحد آخر غيره على العرش، فما كان من أدريل بعد اغتيال أخيه هيمبسل الأول من طرف يوغرطة إلا الانسحاب، وطلب مساعدة الرومان. فارتبط ذكر المدينة في هذه الفترة بالنزاعات والحروب، حيث توالى عليها حكما آخرين غير الأمراء النوميديين.

ويذكر سالوستيوس أن القائد الروماني متيليوس أخذها في 108 ق.م كما يؤكد النص التالي:

(Salluste, 1941) « ad cirtam oppidum.....quod ibi Metellus pradeam captivosque et Impedimentia locavat.... »

بمعنى كرتا، المكان الذي وضع فيه متيلوس غنيمته وأسراه وحمولته. أي أنه اتخذها مقرا له.

ولا نعرف تقريبا شيئا عن المدينة بين فترة موت يوغرطة ونهاية المملكة النوميدية، ماعدا بعض الآثار التي تتمثل خاصة في القطع النقدية التي تؤكد تعاقب الملوك النوميديين عليها.

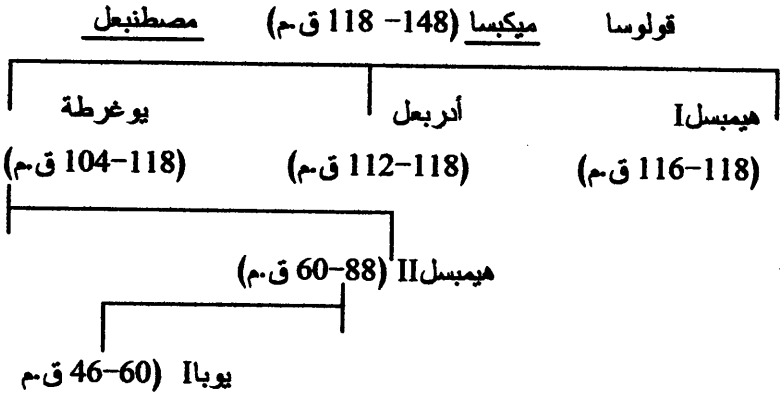
وكان الملوك النوميديين طيلة هذه الفترة حلفاء لروما، التي كانت تقوم بتعيينهم مثل قودا، وهيمبسل الثاني ويوبا الأول الذي لم يحالفه الحظ عندما وقف إلى جانب بومبي ضد قيصر، فقتلوا جنود بومبي وكان مصير يوبا الانتحار في مدينة زامة.

ويحفظ لنا متحف سرتا نماذج منها:

ويوضح لنا الجدول الآتي أسماء الملوك الذين تعاقبوا على المدينة حسب ما تذكره المصادر.

سيفاكس (206-202 ق م)

ماسينيسا (203-148 ق م)



وحسب كمية النقود التي عثر عليها بالمدينة ، والتي تحمل أسماء مختلفة للملوك الذين تعاقبوا عليها، فإن كرتا، كانت مركز الخزينة، وكانت لديها استقلالية في سك العملة ، حيث اكتشفت بها قطعة نقدية تحمل إحداهما اسما الحاكمين الذين كانا يأمران بسكها وهما عبد ملقارت وحنانا.

كما تشير إحدى كتابات معبد الحفرة إلى وظيفة شفط (Suffete)

(Berthier,A et Charlie,R,1955)

وتعني كلمة شفط القاضي بالبونية.

ولقد أعطتنا نقیشة دوقة الفريدة، فكرة عن الإدارة النوميديّة، حيث تذكر النقیشة، وظيفة شفط، وحكام المائة، ورئيس مجلس المائة، ورئيس خمسين رجل. (Saint Amans ,S.2004)

ويتبين من هذه الوظائف، مشاركة القبائل الموالية للأسرة الحاكمة، التي كان يمثلها ماسينييسا، وهي تأكيد على أن هذه الأسرة كانت في كنف هذه القبائل. وتذكر النقیشة أسماء عديدة مثل :

سانوك ابن باتاي، سلفون ابن ماجون ابن نتاكو، ماجون ابن ياروستان ابن ساديلان، ماجون ابن سافلت حكام المائة...إلخ.

ولقد استمر نظام الأسفاط بالمدينة كرتا إلى غاية نهاية العهد الجمهوري.

وبدل وجود العملة النوميديّة بشكل تعاقبي على نظام دائم مستمر ، أي أنه رغم فترات النزاع التي بدأت مع يوغرطة إلى غاية يوبا الأول سنة 46 ق.م، إلا أن المملكة ظلت متقدمة، ومتفتحة، بدليل وجود بها جالية إغريقية وإيطالية، ويونانية.

الهوامش :

- ¹⁻ Berthier(A), « Le bellum jugurthinum, et le problème de Cirta, dans, R.S.A.C, 1950, 51.
- ²⁻ Berthier(A) et Charlie®, le sanctuaire punique d'El Hofra. Paris 1955.
- ³⁻ Berthier(A), « la Numidie, Rome et le Maghreb », Paris 1981, P196
- ⁴⁻ Bron(F), « Les inscriptions puniques d'Algérie », Dans l'Algérie aux temps des royaumes numides . Samogy. Paris, 2003. P104.
- ⁵⁻ Camps(G), Aux origines de la Berberie, Masinissa... Opcit, P278.
- ⁶⁻ Desanges(J), « Permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine, la Numidie traditionnelle Dans, Ant Af, T15, 1980, P84.
- ⁷⁻ Desanges(J), « La Cirta de salluste et celle de Fronton » , Dans Africa romana, 4, 1986, PP133-136.
- ⁸⁻ Lancel(S), l'Algérie antique, Paris2003.
- ⁹⁻ Ouled Tahar(M), « L'hellénisme dans le royaume numide au II AV », dans Ant Af, T40,41. 2004-2005.
- ¹⁰⁻ Pline l'ancien, Histoire naturelle, livre22, édition Desanges , les belles lettres, Paris 2003.
- ¹¹⁻ Polype, Histoire romaine, XXXVI, 4, 16,7, 8,Edit Buttner Wobst1883.
- ¹²⁻ Saint Amans (S), Thucca : Topographie religieuse scripta romana, Bordeaux 2004.
- ¹³⁻ Salluste, Guerre de Jugurtha, LXXX, 1,2, traduit Ermont, A, Paris1941
- ¹⁴⁻ Salluste, Guerre de Jugurtha, LXXVI,6
- ¹⁵⁻ Tite live, Histoire romaine, XXX,30,5, XXIX, 32,14
- ¹⁶⁻ Titelive, Histoire romaine, XXX, 44,12.